" البشاشة وحسن اللقاء "

ومن الاخلاق الكريمة والتى تغرس المحبة ، والمودة ، وتنزع الألفة فى قلوب المسلمين، وتزيل ما بينهم من شنئان ، وفرك وبغضاء ، وشحناء وكراهية ، يتجلى ذلك في قول الحق سبحانه :-

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الأنعام:٥٤]

بعد أن نهى سبحانه نبيه عن طرد المستضعفين من حضرته ، استمالة لكبراء المتكبرين من قومه وطمعاً في إقبالهم عليه ، وسماعهم لدعوته ، كما اقترح بعض المشركين ، أمره بأن يلقى الذين يدخلون في الاسلام إلا بعد ان عن بينة وبرهان بالتحية والسلام ، والتبشير برحمة الله ومغفرته ، فقد كان السواد الأعظم من الناس كافرين ، اما كفر جحود وعناد ، وإما كفر جهل وتقليد للآباء والأجداد وكان يدخل فى الإسلام الأفراد بعد الافراد ، وكان أكثر السابقين من المستضعفين والفقراء .

وكان النبى- ﷺ - يكون تارة معهم يعلمهم ويرشدهم وتارة يتوجه الى أُولئك الكافرين يدعوهم وينذرهم .

فيقول للنبي- ﷺ - اذا جاءك القوم الذين يصدقون بكتابنا ، وحججنا ، ويقرون بذلك قولاً وعملاً ، سائلين عن ذنوبهم التى فرطت منهم ، هل لهم منها توبة ، فلا تؤيسهم منها ، وقل لهم سلام عليكم يعنى أمنة الله لكم من ذنوبكم أن يعاقبكم عليها بعد توبتكم منها ، وان الله تعالى أوجب على ذاته المقدسة تفضلاً منه وإحساناً ، الرحمة بِخَلْقِه ، فإن فيما سخر للبشر من أسباب المعيشة المادية ، وفيما أتاهم من وسائل العلوم الكسبية لآيات بينات على سعة الرحمة الربانية ، وتربية عباده بها في حياتهم الجسدية والروحية ، ثم يبين أصلاًمن أصول الدين في هذه الرحمة للمؤمنين فقال ﴿.....أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة الأنعام:٥٤] والمعنى ان من عمل منكم عملا تسوء عاقبته ، للضرر الذى حرمه الله لأجله ، حال كونه ملتبساً بجهالة دفعته الى ذلك السوء ، كغضب شديد حمله على السب والضرب ، أو شهوة مغتنمة قادته إلى انتهاك العرض ، ثم تاب ورجع عن ذلك السوء بعد أن عمله شاعراً بقبحه ،نادماً عليه خائفاً من عاقبته وأصلح عمله بأن اتبع ذلك العمل السئ بعمل يضاده ويذهب أثره من

قلبه ، حتى يعود إلى النفس ذكاؤها ، وطهارتها وتصير أهلاً للقرب من ربها ، فشأنه تعالى في معاملته إنه واسع المغفرة والرحمة ، فيغفر له ما تاب عنه ، ويتغمده برحمته واحسانه .

وقد بَيّن سبحانه في هذه الآيه من أنواع الرحمة المكتوبة لعباده ما هوأحوج إلى معرفته بنص الوحي ، وهو حكم من يعمل السوء بجهالة من عباده المؤمنين ، وبقية أنواعها ممكن أن يستدل عليها بالنظر في الأنْفس والآفاق ، وأمر نبيه بتبليغه لمن يدخلون في الدين ليهتدوا بها حتى لا يغتروا بمغفرة الله ورحمته فيحملهم الغرور على التفريط في جب الله والغفلة عن تزكية أنفسهم ، وحتى يبادروا إلى تطهيرها من إفساد الذنوب خوف ان تحيط بها خطيئتها يقول تعالى:- ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ .....﴾ [سورة النساء:١٧]

ويقول القرطبي وهذه الآيه نزلت في الذين نهى الله نبيه -عليه الصلاة السلام- عن طردهم فكان إذا رآهم بداهم بالسلام وقال:" الحمد لله الذي جعل في أُمتي من أمرني أن أبدأهم بالسلام ، وعلى هذا كان السلام من جهة النبي- ﷺ - وقيل أنه كان من جهة الله تعالى ، والمعنى أُبلغهم منا السلام ، وعلى أية حال فهذا دليل على فضلهم ومكانتهم عند الله .

وتقدير هذا المعنى بأنه من الواجب احترام الصالحين ، واجتناب ما يغضبهم ويؤذيهم فان في ذلك غضب الله سبحانه ، وقال بن عباس- رضى الله عنهما - نزلت الآيه في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي-رضى الله عنهم - ويقول الفضيل بن عياض" جاء قوم من المسلمين الى النبي- ﷺ - فقالوا إنا قد أصبنا من الذنوب فاستغفر لنا فاعرض عنهم فنزلت هذه الآيه ، كما روى انس بن مالك مثله .

وقوله تعالى " ....كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ...."يعني أوجب على ذلك بخبره الصدق ، ووعده الحق ، فخوطب العباد على ما يعرفونه من انه من كتب شيئاً فقد أوجبه على نفسه ، وقيل كتب ذلك في اللَّوح المحفوظ أنه من عمل خطيئة فهو بها جاهل ، وقوله ﴿....تعالى فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة الأنعام:٥٤]قال رسول الله- ﷺ - " لما قضى الله على الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش " إن رحمتي غلبت غضبي "وقال- ﷺ - " اذا فرغ الله من القضاء بين الخلق أخرج كتاباً من تحت العرش إن رحمتي سبقت غضبي وأنا ارحم الراحمين فتعين فيضة اوفيضتين فيخرج من النار خلقاً لم يعملوا خيراً مكتوب بين أعينهم عتقاء الله " ويقول تعالى " ....وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ...." وقيل معنى " ....كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ...." يعني ألزم نفسه الرحمة تفضلاً منه

وإحسانا فإنه غفور رحيم يعنى من عمل ذنباً، أو ارتكب خطيئة، أو اجترح سيئةً، ثم تاب من بعد ذلك وأصلح عمله فإن الله يغفر له، وهو وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وأصلح. وفي ذات المعنى يقول الحق سبحانه :-﴿ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾ [سورة الأنفال:٦١]

ومن الأخلاق في القرآن الكريم قبول السلم والصلح من جميع الناس حتى الأعداء، والمعنى إن مال العدو عن جانب الحرب إلى جانب السلم، ولم يغتر بقوته فاجنح لها لأنك أولى بالسلم منهم، وفوض الأمر الى الله، ولا تخشى غدرهم ومكرهم، فالله هو السميع لما يقولون، العليم بما يفعلون، فلا يخفى عليه ما يأتمرون به من الكيد والخداع، وإن خفي ذلك عليك، وإن أرادوا بجنوحهم للسلم الخداع، والمكر والكيد ليفترصوا الفرص كانتظار الغرة والخديعة التى تمكنهم من أهل الحق، أو الاستعداد للحرب فالله يكفيك أمرهم، وينصرك عليهم، ومن آثار عنايته بك أن أيدك بتسخير المؤمنين لك، وجعلهم أُمة متحدة متآلفة، ومتعاونة على نصرك، وأن سخر لك ما وراء الأسباب من خوارق العادات مثل الملائكة التى تثبت القلوب في وقعة بدر الكبرى وقد جمعهم الله على الإيمان بك، وبذل النفس والمال في مناصرتك، بعد التفرق والتعادى الذى كان إثر حروب طويلة وضغائن موروثة مثل الذى كان بين الأوس والخزرج من الأنصار.

يقول الله تعالى:-﴿ ....نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا .... ﴾ [سورة آل عمران:١٠٣]

وقد كاد يقع شئ من التباغض من المهاجرين والأنصار حين قُسِمَتْ الغنائم في غزوة حنين فكفاهم الله شر ذلك، وذلك بفضله تعالى، وحكمة رسول الله- ﷺ - وفي الآيه إيماء وإشارة إلى أن النصر ينال بالأسباب والتى من أهمها التآلف والاتحاد بفضل مقدر الأسباب، ورحمته بالعباد، لذلك يقول الحق سبحانه :-﴿ ....أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ .... ﴾ [سورة الأنفال:٦٣]

ولهذه المعاني المتقدمة حين طلب المشركون في عام الحديبية الصلح ووقعت الحرب بينهم وبين رسول الله - ﷺ - تسع سنين أجابهم النبى الى ذلك مع ما اشترطوا من الشروط الأخرى، وقال مجاهد -رضى الله عنه- نزلت الايه في بني قريظة، والصواب والراجح إن الآيه نزلت في معركة بدر لان السياق يؤيد ذلك، ويقول القرطبى " وإن كان للمسلمين مصلحة للصلح، لنفع يحتاجونه او ضرر يدفعونه، فلا بأس أن يبتدئ المسلمين بالصلح إذا احتاجوا إليه، وقد صالح رسول الله - ﷺ -أهل خيبر على شروط نقضوها

فنقض النبى - ﷺ - صلحهم ، وقد هادن قريشاً لمدة عشرة أعوام حتى نقضوا عهده ، وما زال الخلفاء والصحابة على هذه السبيل التى شرحناها سالفة ، وبالوجوه التى شرحناها عاملة .

ويقول القشيرى . رحمه الله . إذا كانت القوة للمسلمين فينبغي ألاّ تبلغ الهدنة سنة وإذا كانت القوة للكفار جازت مهادنتهم عشر سنين ، ويقول الشافعي . رحمه الله . لا يجوز مهادنة المشركين أكثر من عشر سنين وذلك على ما فعل النبى - ﷺ - عام الحديبية فإن هَوْدَن المشركون اكثر من ذلك فهي منتقضة لأن الأصل غرض قتال المشركين حتى يؤمنوا أويعطوا الجزية .

وخلاصة القول ان الأمر يفوض لله أولاً ، ثم للسلطان أو الحاكم حسب الأحداث السياسية ، والمواقف الدولية ، والعمل بما يكون في صالح المسلمين ، فإن كل عصر له سياسته ، وكل زمان له طبائعه والأمور دائماً مختلفة ، ومتباينة ، ومتغايرة .

ويمضى القرآن الكريم قائلاً في نفس المعنى والهدف والغرض فيقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠ ﴾ [سورة يونس:٩:١٠] والمعنى يهديهم ربهم سبحانه الى طريق الجنة وذلك بسبب إيمانهم تجرى من تحت قصورهم الأنهار ، أو من تحت أسرّتهم وهم مقيمون في جنات النعيم ، ودعاؤهم في الجنة " سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ " وفي الحديث يلهمون التسبيح والتحميد كما تلهمون النَفَسْ ، والمعنى ان كلامهم في الجنة تسبيح الله ، وتحية بعضهم بعضا " سلام عليكم " كما تحييهم الملائكة بذلك ﴿..... وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ۝٢٤ ﴾ [سورة الرعد: ٢٣:٢٤] وآخر دعائهم أن يقولوا " ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ " وفي الآيه إشارةً إن الإيمان والعمل الصالح هما سبب الهداية والفوز برفيع الدرجات ، والوصول الى أقصى الغايات ، وانهم يبدأون كل دعاء وثناء عليه تعالى بمناجاته بهذه الكلمة " سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ " وتحيتهم في الجنة كلمة " سَلَٰمٞ " الدالة على السلامة من كل مكروه ، وهى أيضا تحية المؤمنين في الدنيا ، وهذه التحية تكون من الله . عزوجل . حين لقائه ، يقول سبحانه ﴿تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ ...﴾ [سورة الأحزاب:٤٤] ومن الملائكة لهم عند دخول الجنة قال تعالى ﴿....وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ۝٧٣ ﴾ [سورة الزُّمَر:٧٣] وتكون من بعضهم لبعض قال تعالى ﴿ لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ۝٢٥ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا ﴾ [سورة الواقعة:٢٥:٢٦] وان

آخر كل حال من أحوالهم من دعاء يناجون به ربهم ، ومطلب يطلبونه من إحسانه وكرمه "..... ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ....." .

ويمضى القرآن الكريم قائلاً في نفس المعنى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [سورة الفرقان:٦٣]. والإضافة هنا للتشريف والتعظيم يعنى العباد الذين يحبهم الله وهم جديرين بالانتساب اليه ، وهم الذين يمشون على الأرض في لِـــينٍ وسكينة ووقار ، لا يضربون بأقدامهم شراً ولا بطراً ، ولا يتبخترون في مشيتهم ، وإذا خاطبهم السفهاء بغلظة وجفاء وقساوة طبع ، وغلظة كبر ، وسوء خلق ، قالوا قولاً يسلمون فيه من الذنب ، وينأون عن السيئات ، ويبتعدون عن المناكر ، لا يجهلون على أحد وإن جهل عليهم حكموا .

ويقول ابن كثير . رحمه الله . هذه صفات عباد الله المؤمنين يقول تعالى : ﴿ .... وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ .... ﴾ [سورة لقمان:١٨] .وليس المراد أنهم يمشون كالمرضى تصنعاً ، ورياءً فقد كان النبى - ﷺ - اذا مشى كأنما ينحط من صيب ، وكأنما الأرض تطوى له ، ورأى عمر بن الخطاب . رضى الله عنه . شاباً يمشى رويدا فقال له ما بك أأنت مريض ؟ قال لا يا أمير المؤمنين فعلاه بدرته يعنى عصاه التى كان يمسك بها ، وأمره ان يمشى بقوة ، فالمراد بقوله تعالى " هَوْنًا " السكينة والوقار ، كما قال رسول الله - ﷺ - " اذا أتيتم الصلاة فلا تأتوها وانتم تسعون وأتوها وعليكم السكينة فما أدركتم منها فصلوا ، وما فاتكم فأتموا " فهؤلاء قوم كما يقول الحسن البصري . رحمه الله . إن المؤمنين قوم ذلت منهم . والله . الأسماع ، والأبصار ، والجوارح حتى يحسبه الجاهل مرض ، وما بالقوم من مرض ، وإنهم . والله . لا اصماء ولكنهم دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم ، ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة فقالوا " الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن " اما والله ما أحزن الناس ، ولا تعاظم في نفوسهم شئ طلبوا به الجنة ، ولكن أبكاهم الخوف من الله ، إنه من لم يتعز بعزاء الله تقطع نفسه على الدنيا حسرات ، ومن لم ير الله نعمة إلاَّ في مطعم اومشرب فقد قل علمه وحضر عذابه ، وهؤلاء القوم اذا سفه عليهم الجاهل بالقول السئ لم يقابلونهم عليه بمثله ، بل يعفون ويصفحون ولا يقولون إلاَّ خيراً .

كما كان رسول الله . - ﷺ - . لا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما يقول سبحانه ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ .... ﴾ [سورة القصص:٥٥]وقال رسول الله . - ﷺ - سب رجل رجلاً عنده فجعل المسبوب يقول عليك السلام ، فقال رسول الله . - ﷺ - أما ان ملكا بينكما يذب عنك كلما شتمك هذا قال له بل أنت ، وأنت أحق به ، واذا قلت له

وعليك السلام قال لا بل عليك وأنت أحق به " وقالوا سلاماً يعنى قالوا قولاً سديداً صحيحاً ، صادقاً منبعثاً من صدق إيمانهم ، وسلامة يقينهم ، وفي نفس المعنى يقول الحق سبحانه ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾﴾ [سورة الصافات:١٨١] والمعنى وسلام منا على الرسل الكرام وبحمده . عزوجل . تعليماً وإرشاداً للعباد وفي ذات المعنى يقول الحق سبحانه ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة الذاريات:٢٥] والمعنى حين دخلوا على إبراهيم . عليه السلام . فقالوا نسلم عليك سلاماً ، قال عليكم سلام ، انتم قوم غرباء لا نعرفكم فمن أنتم ؟ يقول ابن كثير " وانما أنكرهم لأنهم قدموا عليه في صورة شبان حسان ، عليهم مهابةً عظيمة ، ولهذا أنكرهم . ويقول أبي حيان " والذي يناسب حال إبراهيم . عليه السلام . انه لا يخاطبهم بذلك ، إذ فيه من عدم الأنس ما لا يخفى ، وإنما قال ذلك في نفسه ، أو لمن كان معه من أتباعه وغلمانه بحيث لا يسمع ذلك الأضياف . والملائكة هم جبريل وميكائيل وإسرافيل .

فكل هذه الآيات تدعوا المسلم الى التخلق بالأخلاق الحسنة ، والخصال الحميدة حتى يعم السلام في الأرض ، ويتأدب الناس بأدب الله ورسوله - ﷺ - فذلك خلق القرآن، وخلق من نزل عليه القرآن وهو الأسوة الحسنة ، والقدوة العظيمة سيدنا محمد - ﷺ . (١)

1- حاشية الصاوي ج٢ ص ١٧ .
- الكشاف ج٢ ص ٢٣ ، ص ٢٢٣ .
- زاد المسير ج٣ ص ٥٢ .
- تفسير ابن كثير ج٢ ص ١٣٥ ، ص ١٣٩ ، ص ٣٢٢ ، ج٣ ص ٣٢٤ ، ج٤ ص ٢٣٥ .
- مختصر تفسير ابن كثير ج٣ ص ٣٨٥ .
- القرطبى ج٤ ص ٢٤٣٢ وما بعدها ، ص ٢٣٧٩ وما بعدها ج١٣ ص ٧٢ .
- تفسير المراغى ج٣ ص ١٣٨ ، ج٤ ص ٢٦ وما بعدها ،
- البحر المحيط ج٨ ص ١٣٩ .
- تفسير ابن الجوزى ج٨ ص ٣٦ .
- البيضاوي ج٣ ص ١٢٦.
- تفسير الطبري ج١١ ص ١٨٦ ، ج١٩ ص ٢٠- ٢٣ .
- أبوالسعود ج٢ ص ٣١٠ .
- حاشية الصاوي على الجلالين .
- التفسير الكبير ج٢٤ ص ١٠٨ .
- صفوة التفاسير ج٣ ص ٤٧ .
- تفسير الفخر الرازي ج١٥ ص ٢٠١ .